6.الانصاف والموضوعية :

الانصاف قرين العدل ، والعدل يقتضي أن تتجرد من الهوى وان تنظر وتحكم بمقتضى الحقيقة وهو شرط في الباحث كما هو شرط في الحاكم .

وهو يعني هنا الا تقبل على موضوعك بعصبية معينة له أو عليه فتجرفك الاهواء بعيداً عن صميم عملك وعن الحق الذي يشترط أن يكون رائدك ؛ فليست البحوث أعمالاً تقوم على العاطفة يشبع بها فلان نهمه او يرضى فلان نزوته فيرفع من يريد أن يرفع ويخفض من يريد أن يخفض دون حياء .
ان البحث أمر يتطلب الارادة ، وقوة الارادة في أن يسيطر المرء على نفسه ويروضها ويرتفع بها عن مستوى الانتقام أو المغالطة أو النفاق أو التهريج ... والكسب الحرام .

وعرف الغرب ثمرة لحضارته ونهضته العلمية صفة خاصة اشترطها في علمائه سماها (الموضوعية) . وهذا الخلق مما يتصف به الكيمياوي والفيزياوي و من اليهما ، وهو في هذين الميدانين سهل لان المرء فيهما يتعامل مع مواد جامدة في محيط منعزل هو المختبر وما اشبهه؛ أما في غير هذين الميدانين من الميادين الاخرى فهو صعب لما في النفس الانسانية من أهواء أو لما تخضع له هذه النفس من عادات وتقاليد ومعتقدات ومصالح ، ولكن مع هذا لابد للباحث أن يكون موضوعياً وان يسمو بنفسه عن أن تضعف لان الحقيقة أكبر ، وقد جاءت الموضوعية ضداً للذاتية أو حداً من طغيانها في الاقل . وقديما اشترط العرب العدل في المحدث وفي الراوي وفي المؤرخ كما اشترطوه في الحاكم والشاهد .

7.الامانة... والضمير :

والامانة ان تنقل رأي غيرك في دقة وتنسبه إلى صاحبه فلا تسرقه إن رأيته صالحاً وتكون بذلك كأي سارق يصدر عن دناءة ، ولا ينجو من عقاب عاجل أو آجل . ولا ينفعك أن تتصرف برأي غيرك أو أن تغير صياغته ثم تدعيه لان ذلك إن يخف عليك وعلى آخرين فلا يخفى على الباحثين والناقدين .

والامانة شرط في مناقشة آراء الآخرين ، فلا تجعل المناقشة منافسة ومباراة ومغالبة فتغالط وتلجأ إلى الكذب حيناً والعبث بالنصوص حيناً(والسفسطة) حيناً وانما عليك أن تعرض آراء الآخرين وحججهم كما هي واضحة ثم تبدي آراءك ، اذا كان لابد من المناقشة .

لا تسرق رأياً ولا تسرق بحثاً وان فعل ذلك آخرون ، لان ذلك لا يشرفك ، ولا يشرفنا .

أن تكون أميناً ذا ضمير ... خير لك من الخيانة والمغالطة وما يمكن أن يحقق عن طريقهما من نصر عاجل و (درجة علمية) . تلك بديهة ولكن الحاجة الى التنبيه عليها قائمة لان الذين يتحملون ثقلها ليسوا كثيرين لما تقتضي من ارادة وتضحية والتضحية فيها تكاد تبلغ ما يتحمله الباحث في الجرأة .

8.الجرأة :

الجرأة أن تقول عن الباطل انه باطل ، وعن الحق انه حق غير خائف أو وجل ، ولا يهمك بعد ذلك من ينازعك من اعدائك أو يجتنبك من اصدقائك .وليس في البحث صديق أو عدو قدر ما فيه من حق وحقيقة . يجر البحث احيانا إلى نتائج خطيرة يطمئن اليها صاحبها تمام الاطمئنان لانه سار اليها بمنهج قويم وقلب سليم ولكن اموراً تحول دون اذاعتها . فاذا رأى أنه أضعف من أن يتحمل عواقبها طواها فأضاع فرصة على التاريخ وجهل الناس مكانه من البحث . اما اذا نشرها فانه يربح من جهة ويخسر من جهة اخرى - وكثيرا ما يحدث هذا في البلدان التي لا تمنح الباحثين حظاً مناسبًا من الحرية .

وهناك موضوعات لا تزجك في مزالق شديدة لانها ليست ذات علاقة بمواطن الحساسية الاجتماعية ولكنها مع ذلك تقتضيك قدراً مناسباً من الشجاعة حتى لو بدت كأنها من الأدب الصرف والمادة اللغوية . فقد يكون لشخصية أدبية أو لشخصية مهمة في مدار البحث والنشر رأي ، وقد تكون هذه الشخصية استاذك أو الاستاذ المشرف أو عضوا يحتمل أن يكون في لجنة المناقشة . فماذا تفعل ؟

الجرأة تحقق لك النجاح في منهج البحث وفي المجد الأدبي ، ولكنها يمكن أن تفوت عليك فرصة آنية للارتقاء المباشر في الحياة . فقد تحرم الدرجة العلمية وقد تحرم الوظيفة التي تراها حقا لك .

ان أعلى درجات الجرأة في البحث العلمي أن تكون صريحا وأن تضحي ، ولكنها درجة عالية جداً ليست في متناول كل الباحثين ، فان استطعتها فبها ، والا فالانسب لك الا تلج بحثاً لا تجرؤ ان تفرح بنتائجه.

وإياك إياك - على أي حال - أن تخضع لضغط فتغير وتبدل بما يخالف الحقيقة والرأي السليم ، واياك اياك أن يستهويك طمع أو أن يميل بك خوف فتغالط وتكذب وتصل إلى نتائج غير صحيحة بمقدمات غير صحيحة متخذا من الشكل الخارجي للبحث العلمي وسيلة لتغطية الباطل أو اظهاره مظهر الحق!

9.العقلية التنظيمية (البنائية) :

العلم بالشيء وحده لا يكوّن باحثاً بالمعنى الحديث . وقد يكون المرء علامة في الأدب : أعلامه ، عصوره ، شعره ، نثره ، مصادره ؛ وفي اللغة : نحوها ، صرفها ،تاريخها، فقهها ... ولكن ذلك لا يعني

حتما انه يستطيع ان يكتب بحثاً منهجياً . وقد يكون له الصبر والتتبع والمناقشة والمادة الغزيرة لموضوعه ، ولكنه يبقى حيث هو .

والسبب معروف ذلك أن من عناصر منهج البحث التي لا يستهان بها : العقلية التنظيمية ، أي أن تكون ذا مقدرة على تبويب الاشياء وتوحيد أجزائها ووضع كل منها في مكانه اللائق بقدره المناسب ليجيء عملك متناسقاً مترابطاً متكاملاً من دون زيادة هنا او نقصان هناك ، ومن دون اضطراب أو تفكك أو رخص في الربط .

البحث المنهجي عمل تركيبى لا يستغنى فيه عن الخيال .

10.الدربة والاستمرار :

الدربة أن يوجه استاذ طلبته في البحث وان يزاولوا البحث ويوالوه . ان يكتبوا اكثر من بحث ليفيدوا من التوجيه وينتفعوا من التجربة فيكتشفوا الصواب ويجتنبوا الخطأ ، فيسيروا نحو الاحسن .

الاستمرار شرط ومن اجل ان تتهيأ لك صفة الباحث والا فان بحثا تقوم به مكرهاً يزول بزوال السبب وتعود أنت كما كنت .

والاسباب الخارجية التي تدعو الطلبة الى البحث : الدرجة ، ارضاء الاستاذ ، الامتحان ثم الشهادة على اختلاف درجاتها العلمية من الليسانس ... إلى الدكتوراه . ومن الناس من يقصر استجابته على هذه العوامل فيبلغ بها ما يصبو اليه من(أوراق) ولا يستطيع هذا الضرب من (الباحثين) أن يجودوا كثيراً ، ولكنهم يبحثون على أي حال .

ولكن الباحث الحقيقي هومن يوحد مطمحه في بحثه و يقيم مستقبله عليه ومن هنا يستطيع أن يستمر ويتقدم . ولا يستطيع الا ان يستمر بتوافر الشروط الاخرى وقد رأينا كثيرا منها ، وبقي الالمام بشرط مهم ، ومهم جدا.

11.الموهبة :

ان مفهوم الباحث الشائع سهل . زد على أنه لم يحتل في المجتمع مكانة ذائعة . الباحث انسان يقرأ كثيراً ، يعلم كثيراً ، يلازم الكتب والمكتبات . وينشر ويؤلف ... الخ . وهذه أمور لا تعدو متوسط الاشياء ، وهي مما يحصل بالصبر والمثابرة والابتعاد عن متع الحياة ، وهي بهذا ليست خارقة ولا ما يصعب على طالبها. ولا أدل على ذلك من كثرة الباحثين بهذا المعنى ، وامكان كثرتهم .

ولكن ... ليس هذا هو البحث ، وان كان منه فهو شيء ضئيل ، وهو كالشعر الرديء . وهل يحتاج الشاعر الرديء إلى موهبة ؟ لا.

البحث شيء أبعد مما يراه عامة الناس ، هو بحث وراء البحث . ان جمع المعلومات وضمها بعضها إلى بعض لا يكوّن بحثاً ، لانك لو وجهت ثلاثين طالباً في موضوع واحد لجاءوك باجابة واحدة أو متقاربة أو بثلاثين اجابة متكررة وشبه متكررة . وليس البحث الحقيقي على هذا الشأن ، لانه قوة تتهيأ لفلان دون فلان ، وقد يوجد بين الثلاثين طالباً باحث واحد ، أو لايوجد وقد يوجد في المئة ... أو الالف ... أو لا يوجد. انه روح وحياة وعقل ... انه أسلوب ان شئت .

ان البحث الذي يعده الباحث الكبير لا يتهيأ لكل من يطلبه ، وان القارئ ليجد فيه أشياء غير المعلومات المجمعة من هنا وهناك على طريقة مألوفة وجادة مطروقة . ان القارئ ليشعر أنه ازاء عمل ضخم وأثر عميق عملت على شده عوامل كثيرة منها ظاهرة معروفة كالصبر والمثابرة والجمع المنظم... . ومنها غير منظورة لانها لاتوجد الا في هذا الباحث الكبير. كانت فيه استعداداً فطرياً ، غذاه بالاكتساب والجهد ... والدربة حتى يؤتي أكله ويؤدي الى هذه الثمرة اليانعة ولم لا نسمي هذا الاستعداد : (موهبة)

لو تولي باحثان كبيران موضوعاً واحداً سلكا اليه على مقتضى خطوات البحث العلمي التي اصبحت مقررة معروفة : الاختيار ، الخطة ، الجذاذات ، التحرير ٠٠. فان البحثين لن يكونا نسخة واحدة حتى ولو كانت النتائج واحدة أو متقاربة . انك من كل بحث إزاء شخصيتين محترمتين ، إزاء أسلوبين ، ازاء موهبتين .

أجل ، فلم لا يكون البحث العلمي موهبة خاصة ؟ انك لا تقدرأن تقول الآن أن أي انسان يستطيع ان يكون باحثا كبيرا- لانك اصبحت تشترط ما لابد منه للنجاح الكبير في كل ميدان: الاستعداد الفطري ... ولم لا نقول : الموهبة ؟

ان البحث المقصود - في كتابنا هذا– يقوم على الماضي الذي اندرس ولم تبق منه الا معالم قليلة أهمها كلام على الورق ووراء هذا الكلام من النصوص الادبية عواطف وأخيلة وأفكار و نفوس ٠٠٠ ثم تقديم هذا الماضي إلى ابناء الحاضر .

وشرط النجاح الكبير لدى ابناء الحاضر : الحياة ، اي أن تجعل الماضي حاضراً وان تجرى الدم في عروق الميت . ولما كان الامر كذلك ، كان أهم عناصر هذه الموهبة امكان العيش مع الماضي والانسجام مع ابنائه : تراهم وتفهمهم وتحدثهم كأنك واحد منهم وكأنك انسلخت من عصرك وظرفك - إلى حين .

ويقتضي هذا العنصر قابلية (خارقة) على التصور والاستحضار والاسترداد والاستنطاق ... وقابلية على تجويد التعبير عما رأيت وامكان التركيب لما حللت ،واعادة البناء في صدق واخلاص بعيداً عن

شطحات الوهم ومعرّات العصبية سميناها (الموهبة). ان الماضي لفي نفوس هذا النفر ، وهو عندهم غير منقطع عن الحاضر - والمستقبل أيضا .

على ان وجود الموهبة وحدها في انسان لا يعني شيئاً جازماً ، فقد يعرب عنها ذلك الانسان بوجه من الوجوه التي تكتنفها البساطة ، ولدرس منهج البحث موقف واضح في هذا الموضوع يتمثل بما يأتي :

1. انه يعترف جيدا بالاستعداد الفطري و بالشخصية وبالاسلوب وباختلاف وقع بحثين في موضوع واحد لباحثين كبيرين .
2. ولكن هذا لا يعني شيئاً كثيراً لديه أي أنه لا يحول ابداً دون الدرس والمضي في فصوله : اختيار الموضوع ، الخطة ، المصادر ... الخ .
3. لان الغاية المدرسية الاولى منه توفير قدر متوسط من منافعه لعامة الطلبة .
4. ولانه لا يشترط في طالب البحث الموهبة والابداع فذلك تكليف فوق الطاقة لا يلتزم في الدروس الاخرى فكيف يلتزم هنا ؟ ولماذا ؟
5. اذا سرنا في الدروس وانتفع العامة في حدود طاقتهم ، انتفع الخاصة بقوة قابليتهم ووجدوا أنفسهم ودلوا عليها ، وأومأوا الى باحث الغد ... المنتظر .